مجلة الواحات للبحوث والدراسات
ELWAHAT Journal for Research and Studies
Available online at :https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2
ISSN : 1112- 7163 E-ISSN: 2588-1892 المجلد 17 العدد 1 (2024): 93– 113

فلسفة الفن الإسلامي في ظل الرؤية التوحيدية من خلال فكر إسماعيل راجي الفاروقي

The Philosophy Of Islamic Art In The Light Of The Unitarian Vision: A Study Of Isma'il Raji Al-Faruqi's Thought

سماح زيدي
جامعة الجزائر1 ،كلية العلوم الإسلامية (خروبة)،مخبر الشريعة
s.zidi@univ-alger.dz
تاريخ الاستلام:25-10-2023 تاريخ القبول:19-05-2024 تاريخ النشر :06-06-2024

ملخص:

مدار هذا البحث رصد نهج دراسة اسماعيل راجي الفاروقي، وتطرقه لموضوع الفن الإسلامي، وتشكل فلسفته وأنساقها وسياقاتها في ظل الرؤية التوحيدية، المرتكزة على جوهر "لا إله إلا الله"، ورصد سمات هذا الفن وفلسفته من خلال العملية الفنية ومنجزاتها من منظور الفاروقي، وبحثه من حيث كونه فنا ذو ماهية وسمات مستقلة ومتفردة، لها مرجعيتها وغاياتها؛ وفلسفتها في نطاق التوحيد ومسلماته، تجاه قضايا الكون والوجود، ومرتكزات تعبيره فنيا عنها وتعاطيه فلسفيا معها.

كلمات دالة: الفلسفة، الفن الإسلامي، الرؤية التوحيدية، إسماعيل راجي الفاروقي

المؤلف المرسل: سماح زيدي: samsomazid@gmail.com

Abstract :

The Course Of This Paper Monitored The Study Approach Of Ismail Raji Al-Farouqi, And His Approach To The Subject Of Islamic Art, And The Formation Of Its Philosophy, Its Patterns And Contexts In Light Of The Monotheistic Vision, Based On The Essence Of "There Is No God But God", And Monitored The Characteristics Of This Art And Its Philosophy Through The Artistic Process And Its Achievements From Al-Farouqi's Perspective, And His Research From Since It Is An Art With An Independent And Unique Essence And Characteristics, It Has Its Own Reference And Goals. Its Philosophy Is Within The Scope Of Monotheism And Its Postulates, Towards The Issues Of The Universe And Existence, And The Foundations Of His Artistic Expression Of Them And His Philosophical Dealings With Them.

Keywords: Philosophy; Islamic Art; The Monotheistic Vision; Ismail Raji Al-Farouqi

مقدمة

يعد الفن الإسلامي من المواضيع القليلة الحاضرة في مجالات البحث، لدى المفكرين والباحثين المسلمين، وغيرهم ممن يهتمون بتاريخ الحضارة الإسلامية وثقافتها، وإذا ما تناولوه تجاذبه الاختلاف في الأراء تارة، والتصادم تارة أخرى، خاصة في نطاق المنظور الفقهي الحكمي مابين الحلال والحرام ، والضابط والمحدد، إلا أن هناك من امتلك الشجاعة لخوض غمار البحث فيه، وبيان جوانبه وخصائصه، ورصد واستقراء مساره وأبعاده، في نطاق إسلامي لا يتصادم مع الجمال والذوق والابداع، وفق مايتوافق والمعطى الديني الإسلامي؛ ووفق مايتماشى مع الفطرة المفطورة على الجمال، ومدركات العقل الذي لا يستنكرالحسن ولا يستهجنه، في ضوء النص الداع للتأمل والتبصر في الكون وأيات الخلق والابداع، وفي مقدمة هؤلاء نجد إسماعيل راجي الفاروقي– رحمه الله تعالى– الذي حاول تسليط أضواء البحث على الفن الاسلامي وشواهده، وتقديم قراءات حوله في نطاق الرؤية التوحيدية، التي اعتبرها روح الفن الاسلامي وسر تميزه وتفرده وشهوديته، وهو ماحاولنا التطرق إليه وبيان سياقاته وأنساقه، في ضوء إشكالية محورية تساؤلها: مافلسفة الفن الإسلامي وفق الطرح الفكري للفاروقي في ظل الرؤية التوحيدية؟ ومحاولة الإجابة عنها من خلال تأطيرها بجملة من الأسئلة الفرعية أهمها:

س1–كيف تصور وطرح الفاروقي ماهية الفن الاسلامي وفلسفته في ضل جوهر التوحيد؟

س2– هل الفن الاسلامي من منظور الفاروقي ذو صلة مباشرة بالإسلام كدين أم لا ؟

س3– فيما تجلت فلسفة الفن الاسلامي في ظل الرؤية التوحيدية في فكر راجي الفاروقي؟ وبما تفردت؟

فرضيات البحث: وللإجابة عم تقدم وضعت عدة فرضيات أهمها:

ف1–الفن في ظل الرؤية التوحيدية في فكر الفاروقي ذو فلسفة تراعي الفطرة ولا تتناقض مع العقل ولا تتنكر للجمال

ف2– الفن الاسلامي في فكر الفاروقي ذو سمات تستند إلى جوهر التوحيد لا مادية الطبيعة ولا وثنية التعدد.

ف3– فلسفة الفن الاسلامي في فكر الفاروقي ذات أبعاد إيمانية عقائدية على مختلف الأصعدة وهي انعكاس للتصورات الوجودية من خلال التوحيد وامتداد ابداعي له.

أهمية البحث: وتكمن في أهمية الفن الاسلامي ذاته ومايمثله في حاضنة الثقافة الاسلامية، وخاصة في علاقته بروح العقيدة الاسلامية "التوحيد" وانضوائه تحت لوائها، والتزامه بمعاييرها واستعابه لرسالتها، زيادة لأهمية الدور الذي لعبه الفاروقي في خدمة الحضارة الاسلامية ومن ضمن جوانبها الفن الاسلامي، دورا له من الأهمية مايستحق الحديث عنه ودراسته وتقديره.

الدراسات السابقة:من ضمن الدراسات التي عنيت بالفن الاسلامي نستعرض مايلي:

– حكم دراسة الفن في الشريعة الإسلامية: بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، إعداد أحمد بن صالح الغزالي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1994م، ولم تخرج من سياق أحكام الفقه حول حرمة وجواز الفن ، وطرح أراء كل طرف مع أدلته وبيانها.

– الأبعاد الفكرية في الفن الإسلامي: دراسة لنيل درجة الماجستير في التربية الفنية، قسم التربية الفنية، جامعة أم القرى،2004م، إعداد معجب عثمان معيض الزهراني، ولقد سلطت الضوء على الجانب الفكري للفن الاسلامي ومن ضمنه الشق الفقهي وأسهبت فيه، ولم تتخطاه إلى جوانب أخرى بشكل مفصل ومعمق.

منهجية البحث: لقد وظف في هذا البحث المنهج الملائم لطبيعته، وهو المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي، لضرورة استقراء مراحل تتبع الفاروقي للفن الاسلامي، وطرق عرضه لما أنيط به، وتحليل الدلالات وتفسيرها وتبسيطها.

1 الضبط المفاهيمي للمصطلحات الرئيسية

1.1 تعريف الفلسفة:

- **الفلسفة لغة** : وهي مركب من شقين فيلو وتعني حب وصوفيا وتعني الحكمة، بمعنى جامع "حب الحكمة" ونسبت في أول أمرها إلى فيتاغورس وأحيانا إلى غيره نحو أفلاطون وسقراط ((رجب بودبوز ، د س ، صفحة 15)
- **الفلسفة اصطلاحا:**
- هي" علم يبحث فيه عن أحوال الموجود بما هو موجود (محمد حسين الطبطبائي، 2009، صفحة 5)
- وعرفها أوغست كونت على أنها " النظام العام للتصورات الإنسانية (جلال الدين سعيد، 2004، صفحة 373)
- والفلسفة هي" محاولة العقل الإنساني تكوين علم كلي بالوجود على كل مستوياته :الألوهية، والإنسان، والكون، من أجل تكوين رؤية شاملة للقوانين العامة التي تحكم الوجود وبنيته ومقاصده (محمد عثمان الخشت، 2016، صفحة 683)

ويستشف مما تقدم أن الفلسفة كتعريف إجرائي : هي مسائلة وبحث وتقصي، بغية الوصول إلى الحقيقة وفهم ماتعلق بها،لأن غاية الفلسفة هي "التوضيح المنطقي للفكر (جلال الدين سعيد، 2004، صفحة 343) ومنه فهم ماعبر عنه أوما استند عليه، سواء كان معارفا أم فنونا أم تصورات وأنساق ، وكل ماتعلق بالوجود وقضاياه بطريقة مباشرة أو غير مباشر

1.2 تعريف الفن:

- **الفن لغة:**

وردت " الفنون الأخلاط من الناس، أي ناسا ليسوا من قبيلة واحدة، والأفانين الأساليب وهي أجناس الكلام وطرقه، والتفنين التخليط، يقال:ثوب فيه تفنين إذا كان فيه طرائق ليست من جنسه، ورجل متفنن أي ذو فنون، وفنن الناس جعلهم فنونا (ابن منظور، د س، صفحة 3476) ويقال أيضا:" الفنون الضروب، والأفانين أشياء مختلفة ومثالها : ضروب الرياح وضروب السيل، وورد الرجل يفنن الكلام،بمعنى يشتق في فن بعد فن (الفراهيدي، 1982، صفحة 372)

- **الفن اصطلاحا:**

أورده كاسيرر:" الفن لغة رمزية تستند في أساسها إلى القول إن الفن تعبير رمزي (جورج كوبل، 1965، صفحة 9)

و أردف الفن على أساس أنه هو "التعبير الذي يتخذ مادة وسيطة، كي يعبر الفنان بواسطتها عن انفعالاته الجمالية، سواء لما يشاهده في الطبيعة أو يراه في الخيال بعين الفكر كي ينقله إلى الآخرين (محمد حسن حسن ، د س، صفحة 145،146)

زيادة إلى أنه قدم على أنه "أ أقدر صنوف النشاط البشري تعبيرا عن التواصل بين الأفراد والأجيال والأمم (بل كلايف، 2001، صفحة 33)

1.3 تعريف الفن الاسلامي:

- يعرف الفن الإسلامي على أنه: "التعبير الجميل عن حقائق الوجود، من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود (محمد قطب، 1983، صفحة 6)

وعرفه الفاروقي على أنه" هو نمط جمالي يقدم أعمالا تبعث عل التأمل الجمالي والمتعة النفسية وتدعم فكر المجتمع الأساس وبنيته، وتكون عاملا دائما للتذكير بمبادئه (إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء، 1998، صفحة 244) فهو كيان بنيوي ينسجم مع المبادئ الجمالية في الفكر الاسلامي (إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء، 1998، صفحة 244)

أي هو فن رؤيته إسلامية للوجود والكون، وأعماله ومنجزاته إنسجام مع تلك الرؤية وتعبيرا عنها، وهو ينتسب للإسلام استنادا إلى تعاليمه وتصوراته وفلسفته .

2 الفن الاسلامي وفلسفته في ظل الرؤية التوحيدية من خلال فكر اسماعيل راجي الفاروقي

2.1 الماهية:

وفق فكر الفاروقي فالفن الإسلامي له ماهيته الخاصة به، والمميزة له عن غيره، ماهية تحدد طبيعته وعوالمه ومعالمه، فهو ليس فنا بلا ملامح ولا مفاهيم، وبلا منظومة معرفية وحضارية، تمنحه ماهيته، وتستوعبه وينتمي إليها ، وهو ماحاول الفاروقي تبينه وتبسيطه والتأصيل له، فقام بدراسة الفن الاسلامي من خلال رصد جوهره لا العوامل المؤثرة فيه خارجيا، إذ أن ماهية الفن الاسلامي وفقه مكمنها الجوهر المتمثل في " التوحيد" كهوية للفن الاسلامي في منطلقاته وغاياته وتجلياته، ولو انفصل عنه ماكان ولا تبلور ولا تميز، ولكان مجرد فنا تابعا لغيره بلا حضور ولا بصمة ولا كيان، فوفق الفاروقي التوحيد هو من منح الفن الاسلامي هويته وفرصة التشكل، ودونه ماكان ليكون هناك مايصطلح عليه الفن الاسلامي لا ماهية ولا شواهدا ولا حضارة، ماهية حاول الاستشراق تشويهها وطمسها وتقديمها في صورة منسلخة من روحها التوحيدية، ومنقطعة الصلة بها، بربطه بفن الغرب وتاريخه واعتباره فنا محاكيا ومقلدا لفنونه، بغية الطمس والترويج لحقيقة أن الفنون الاسلامية ليست فنونا مستقلة عن الفنون السابقة للإسلام، وأنها ليست وليدة حضارة مغايرة، لها خصوصيتها وملامحها الثقافية والحضارية التي ترعرعت في حواضن الرؤية التوحيدية الإسلامية، والتي تعد مرجعية الفن الاسلامي ومعياره ومسلكه وانتمائه وفلسفته.

ولقد برر هؤلاء المستشرقين مسوغاتهم بأدلة مفادها أن الإسلام من خلال القرآن الكريم حرم الفن ومنعه، وأن العرب قبل الاسلام لم يعرفو سوى الشعر وحياة البداوة التي لا يتمخض عنها معرفة الفنون وإتيانها، لكن الحقيقية وفق الفاروقي مفندة لما ادعوه، وذلك من خلال ماهية الفن الاسلامي ذاته، فهي ماهية قرآنية ظاهرا وباطنا، كحال كل منجز حضاري إسلامي إذ أن" تناول أي مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية، يتحتم النظر إلى الغاية القصوى لوجوده وإلى أساسه الإبداعي على أنهما يصدران عن القرآن الكريم ...القرآن الكريم يقدم المبادئ الأساس لثقافة وحضارة بأكملها ...فإن فنون الحضارة الإسلامية يجب أن ينظر إليها كذلك على أنها تعبيرات جمالية نابعة من ذات المصدر وتتبع المسار نفسه، أجل إن الفنون الإسلامية فنون قرآنية حقا (إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء، 1998، صفحة 243)ولا يمكن فصل القرآن عن الفن الإسلامي، لأنه الحاضنة الفكرية له، والعقدية ووفقها أبدع وتفنن، لذلك فإن ماهية الفن

الاسلامي وهويته وفق منظور الفاروقي لا تتوقف على حدود الوسيلة الفنية، والتقنية والأسلوب،بل منوطة بما هو أسمى وأنبل وهو الغاية، والغاية مركزيتها وفق الفاروقي السير تجاه فهم وإدراك حقيقة اللامتناهي الذي يتخطى بالنسبة له أطر المكان وحيز الزمان ، ليغدو مركزا للرؤية الفنية الابداعية في ظل الإسلام ،لا كمقيد لحرية الابداع ولا ككابح لانطلاق الخيال، بل كامتداد لشعور إيماني ينبعث من عقيدة يتجاوز جوهرها الظاهر الدنيوي إلى الخلود الآخروي، عقيدة لا ترتكز على تقديس القابل للتجسيد والتجزيء والتمثيل، والمحدود بأبعاد ووالمأسور في أشكال وصور جامدة، تتشارك مع الطبيعة والإنسان وجميع الظواهر والخلق في إمكانية إدراكها ونسبيتها في نطاق البداية المعلومة والنهاية المحددة، وعليه فهو فن ذو ماهية تتجاوز الشهودي إلى المورائي، في مسار توحيدي المنطلق والمنهج والغايات، لترتقي فلسفته بالمخيال الإنساني إلى مدارج إيمانية بروح عقيدة خالية من التناقضات والسفسطائيات، الموعزة إلى تفسير الظواهر وتجسيم الأساطير وتأليه المنحوتات، فهي ماهية تتشكل نتاج بحثها فنيا وإبداعيا عن تقديم فلسفة تعبر عن عقيدتها تجاه المورائي اللاطبيعي؛ اللامحدود واللامتناهي، وهو ما ما وصفه الفاروقي ب" المتسامي" وهو وصف للإلاهي المتعالي، ولا يتأتى هذا التصور فنيا إلا إن كان "الفن عملية تسعى لتكتشف في داخل الطبيعة ذلك الجوهر الماورا طبيعي لتمثله في شكل منظور...الفن ليس محاكاة للطبيعة المخلوقة، ولا هو بالتمثيل الحسي للطبيعة "المطبعة"أي الأشياء التي اكتمل " تطبيعها" أو واقعها الطبيعي...يفترض الفن بالضرورة إيجاد شيء في الطبيعة هو ليس منها، لكن الذي ليس من الطبيعة هو التسامي وليس غير الإلهي يمكن أن ينطبق عليه هذا الوصف (إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء، 1998، صفحة 246،247)والذي أدرك الفن الاسلامي أنه وصف لا يمكن أن يحتجز في صورة أو منحوتة، فهو منوط بالمطلق الذي لا يمكن أن يدرك إلا إيمانيا، ولا يمكن أن يعبر عنه كما يعبر عن المحدود والنسبي "المخلوقات" التي لا تختص بذلك الوصف الكامل والمنزه والمقدس، بل يستوجب التعبير عنه فنيا لكن بتجرد دون مشاركته مع أحد ولا رفع أحد إلى ألوهيته وتساميه.

وبناء على ذلك فإن فلسفة الفن الاسلامي في فكر الفاروقي لم تفصل بين ماهيته وجوهره في ظل الرؤية التوحيدية، فكلاهما منبثق من مصدر واحد" القرآن الكريم"، وكلاهما يحمل تصوراته ومفاهيمه تجاه الكون والوجود، والحياة بعاليها الدنيوي والآخروي، من زاوية رصد الأبعاد الميتفيزيقية الجامعة مابين الماهية والجوهر عقائديا وفنيا، ليس على سبيل الترادف بمعنى أن ماهية

وجوهر القرآن هو فني بالمعنى المجرد للفن كنتاج بشري وضعي، ولكن بمعنى أنه دين يصدح بالجمال الكامن في رحاب "شهادة لا إله إلا الله "مصدرا للخير والجمال والإبداع والخلق، لكن العكس صحيح وهوأن الفن الاسلامي ماهيته وجوهره قرأني في ضوء ماصدح به القرآن الكريم، وأقره من توحيد ارتبط بكل جميل وابداع من نور الايمان به والتعبيرعنه، عبرالمنجز الفني الاسلامي بطريقة مباشرة وعن طريق فلسفته أيضا والتي مدار قضاياها في عمومها هو " الجوهر (ماهية الشيء) وهو الوجود المتعالي المفارق وعلاقة هذا الوجود المفارق مع مبدئها الأول الله(جل جلاله)" وعليه فماهية الفن الاسلامي قرأنية في جوهرها وحضورها وفلسفتها، في شكل جمالي مبدع ومنتظم لا يشبه غيره ولا غيره يشبهه، فهو فن تشكلت فلسفته على أساس استحضار المعطى الغيبي في عقيدته، والعالم الأخروي كعالم الكمال المطلق والجمال الحقيقي الذي يستحق وفق منظور الفن الاسلامي أن يعبر عنه و تدور فلسفته في فلكه، فلسفة تقر بمسلمة أن الوصف الفني لا يمتلك إدراك المتعالي وإجابات الأسئلة المنوطة به وبالغيبي لأنه" يسمو على أي وصف شامل ولا يمكن تمثيله بأية صورة من عالم البشر، أو أي من المخلوقات ، والحق أن الله هو الذي يتحدى أية أجوبة عن السؤال بم؟ وكيف؟ وأي؟ ومتى ؟ وهذه الفكرة عن وحدانية الله المطلقة وعلوه هي المعروفة باسم التوحيد (إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء، 1998، صفحة 244) لذلك فهي ماهية تحقق التعبير عن النفي "لا إله " والإثبات "إلا الله" في آن واحد، ووظفته وفق الفاروقي على الصعيد الفني من خلال أسلوب التحوير إذ " غدا أسلوب التحوير بيد الفنان المسلم أداة نفي يقول بها " لا " لكل شيء طبيعي، بل للخليقة نفسها، وبإنكاره المطلق لطبيعة الأشياء، كان المسلم يعبر بشكل منظور عن الحكم بصيغة النفي(أن لا إله إلا الله) وشهادة الفنان المسلم هذه تعادل في الحقيقة إنكار التسامي في الطبيعة (الفاروقي، 1981، صفحة 49) فماهية الفن الإسلامي وفلسفته توحيدية ظاهرا و جوهرا ودلالة، مثبتة للتوحيد ومفندة لما سواه في الوقت ذاته، مع حفاظها على جمالية منجزاتها وتميز إبداعها وتفردها.

2.2 السمات: إذ منح التوحيد للفن الإسلامي وفلسفته سمات خصهما بها دون غيرهما وأهمها:

- **سمة التنزيه**

لقد تحرر الفن الاسلامي أو بالأحرى ولد حرا من تناقضات الإغتراب الفلسفي الذي لم تستقر أنساقه، ولم تتضح تصوراته في ظل الأديان المتعددة في ألهتها ومصادرها شرقا وغربا، و

الأيديولوجيات العلمانية المادية الملحدة ونضرياتها ، والتي ضاعت في معتركها فنونها ، فلم تعرف كيف تعبر عن أفكارها ومعتقداتها وإيمانياتها، ولم تعي من خلال منجزاتها الفنية ما تمثله كفلسفة دينية، أو غير دينية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، في صلتها بالمقدس، قبولا وتقديسا، أو رفضا وتدنيسا، على عكس الفن الاسلامي الذي أكد الفاروقي على أنه لم يعاني من هذا التأزم ولم يقع في هذا الضياع، إذ كانت فلسفته في ظل الرؤية التوحيدية واضحة المعالم والعوالم منذ بدايته كفكرة أولية إلى غاية تمامه كمنجز فني مستقل ومتميز، فالمجهول في فلسفته كان غيبيا يؤمن به ويعلم مآلاته وتأويلاته في عناوينه العامة دون التفاصيل، وفق قرآنه وتعاليمه ومانص عليه، والذات الإنسانية لم تكن بالنسبة إليه أتية من العدم ولا منتهية إليه، بل ذات لها خصوصيتها البشرية المحدودة بجوهر مكرم، ووجود مبناه عبادة الله، والسعي من خلالها للفلاح والخلود في جناته وأداء مهمة الإستخلاف، أما اللامحدود واللامتناهي فهو في فلسفته ليس كامنا في تأليه البشر ولا تبشر الإله وأنسنته، إذ لا يوجد في معتقده خلط بين الإنسان والطبيعة،و بين جميع المخلوقات و الخالق المنزه ؛ تنزيها رده الفاروقي إلى الاعتقاد الإسلامي بأن الله أكبر من كل شيء، ومن أن يحد بأطر المكان وحيز الزمان، أو في مجسم أو شكل أو إطار، أو يختصر في ملامح محددة ، فهي مسلمة "عند المسلم أن الله هو هذا المسبب الأعلى (الأكبر) ويردد المسلم عبارة الله أكبر في كل مناسبة من استحسان أو إعجاب أو حمد أو إلهام تعبيرا عن هذا الإيمان، وإذا كانت الشعوب الأخرى تعد الإنسان "مقياس جميع الأشياء" أو تحسب الطبيعة المقرر الأخير، فإن المسلم يتوجه بكل جوارحه إلى الله في عليائه، فالفن الإسلامي إذن له هدف ينسجم والهدف القرآني، ألا وهو تعليم الجنس البشري وتعزيز مفهوم الإله المنزه المتعال عندهم (إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء، 1998، صفحة 247) وهو ما اتخذه الفن الاسلامي منطلقا لفلسفته التجريدية الابداعية، فلم يعنى بالظاهرالحسي المجسد في شكل مخلوق كامل أو جزء منه، أو حتى محاولة تشبيه هذا المخلوق بالإله أو العكس، لأن رؤيته التوحيدية انبعث منها داخله إيمانا يقينيا قطعيا؛ يتجاوز شكلية الابداع المحاكي للمحسوس الذي لا يرتقي للأصل "الخالق" ولايضاهي صفة من صفاته، لذلك لم يرى ضرورة لطلب الارتقاء عبر التعبير الفني لما ليس لأي مخلوق حق فيه على أساس أن " التوحيد المفاصلة الوجودية بين الألوهية وعالم الطبيعة كله، فكل شيء في الخليقة مخلوق وغير متعال، وخاضع لسنن الزمان والمكان، ولا يصلح أي شيء منه لأن يكون إلها أو إلهيا بأي معنى، وبالمعنى الوجودي الذي ينفيه التوحيد بوصفه جوهر الإيمان بإله واحد للكون، على وجه الخصوص، والإله

هوالآخرالمطلق المغايربالكلية للطبيعة المتعالي الأوحد، بل إن التوحيد يؤكد علاوة على ذلك أنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء...ومن ثم يستحيل أن يكون في الخليقة أي شيء يمكن أن يكون شبيها بالله أو رمزا له، أو يمثله فهو سبحانه بالتعريف ذاته أسمى من أي وصف، ويستحيل بالنسبة له سبحانه وتعال الحدس الجمالي ،فضلا عن الحسي (الفاروقي، 2014، صفحة 306)فالمخلوق في واقعه وخلقه ليس إلها، والإله ليس مخلوقا فلا يمكن أن يدرك فنيا أو عبر أي مسلك أخر كالمخلوق، فذلك يساويه به ويرفع عنه صفة التأليه وهو في المنظور الاسلامي منزه من حدوث ذلك وإمكانه، لذلك ونزولا عند توجيه شعور يكتنفه اليقين العقدي بأن الفنون ترفع الإنسان إلى مدارج سماوية في دلالتها وتجلياتها وفلسفتها وروحانيتها من خلال تجسيده لما يؤمن به، عبر الفنان المسلم عن رؤيته وفق عقيدته المنزهة للخالق لا المخلوق، مما نتج عنه فنا يتخطى أثره لذة البصر إلى نشوة البصيرة، فنا تنتهج فلسفته مسارا صعوديا يناشد مافي السماء من جنان وخلود ونعيم، لا مسارا تنازليا أرضي، يعبر بفنه عن محدود فاني ومتلاشي ومتعدد، ولقد برهن الفاروقي عن ذلك من خلال ما تعكسه فلسفة التجريد في الفن الإسلامي، حيث يتجرد الفنان المسلم من المعطى الدنيوي الذي يعلم أن جماليته محدودة وقابلة للفناء والبلاء والإنداراس، ويحاول أن يحاكي المعطى ذو الجمال الخالد الغيبي الذي يؤمن به ويرجوه، عبرمسالك فنية غير مباشرة توحي به من خلال تجلياتها وليس عبر طريقة مباشرة، لأن الفنان المسلم المبدع والمتلقي المتذوق يدركان أن المنشود لا محدود وهو كما أوضح الفاروقي منزه تنزيها أدركه الفن الإسلامي من خلال إعتقاد الفنان المسلم ويقينه بأن الله أكبير من كل شيء، وهذا الاعتقاد لديه أولي وسابق متمخض بما اصطلح عليه الفاروقي بالخبرة الدينية والتي تولد بدورها الخبرة الجمالية (إدهام محمد حنش، 2013، صفحة 138) المبدعة لفن إسلامي وفلسفته في أعلى مراتب التلقي، والتذوق للحسن ودلالاته بأبعاده الروحية والعقائدية،التي انعكست وتجلت من خلال دلالات التجريد في الفن الإسلامي، عبر جميع منجزاته ووحداتها المجردة من كل حسي دنيوي، والساعية إلى مايتجاوزه ويتخطاه كمطلق لا كنسبي، لذلك " كان على الفن الإسلامي أن ينفي بالمضامين السلبية التي تنطوي عليها شهادة أن لا إله إلا الله وأن ليس كمثله شيء، وكان عليه كذلك أن يعبر عن البعد الإيجابي في "التوحيد" ذلك البعد الذي يعنى بما ليس هو الله بل بما هو الله (إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء، 1998، صفحة 246) و ذلك مكمن التنزيه في الفن الاسلامي والذي ترجمته فلسفته وهو الاعتقاد القطعي بكمال الله، وعدم القدرة على محاكاته ولا مضاهته ولا إدراكه

ولا التعبير عنه فنيا لا رسما ولا نحتا ..إلخ، فكانت فلسفة نافية لكل طرح جمالي فكري ينسب الجمال المطلق لمخلوق أو يجعله شريكا فيه وموساويا فيه مع "الله" مصداقا لقوله تعالى : ﴿**لَيس كَمثْله شَيءٌ وهُوَ السَّميعُ الْبَصيرُ**﴾ (سورة الشورى، 11)

- **سمةَ اَلتَجلي**

لقد حاول الفنان المسلم أن يحاكي المعطى ذو الجمال الخالد الغيبي الذي يؤمن به ويرجوه، عبر مسالك فنية غير مباشرة توحي من خلال تجلياتها بأفاقه المستقبلية المرتقبة والمرجوة بطريقة غير مباشرة وغير مادية، مردها إدراك الفنان المسلم والمتلقي حقيقة المنشود ولطائفه الإيمانية، وأنه معطى أكبرمن أن يتصوره العقل ولا أن يصوره الفن، لذلك وظف التجريد وفق مايراه الفاروقي بدلالات يمكن من خلالها فنيا على صعيد منجزاتها ووحداتها المجردة من كل حسي دنيوي، التعبير عن يقين مطلق لا نسبي؛ وعن جمال تام لا ناقص؛ وعن عالم خالد لا منتهي، تعبيرا فنيا يتجلى من خلال فلسفة تتوافق مع العقل من خلال روح الفن لا ظاهره "فجوهر العمل الفني الإسلامي هو أن تتواصل رؤية المشاهد، وتدرك ثمرة الاستمرار في التخيل، ويضع العقل نفسه في حالة حركة ملتمسا الحس باللانهائي، ويحتاج تحصيل حدس غير الطبيعي، إلى التخلص من تأثير الكتلة والحجم والفضاء والسياج والشاقة والتماسك، بوصفها حقائق طبيعية، فلا يحيط بالمسلم المحب للجمال، غير نموذج مولد لزخم مندفع في فضاء لا نهائي في كافة الاتجاهات، فهذا هو الذي يضعه في حالة التأمل المطلوبة لحدس الحضور الإلهي (الفاروقي، 2014، صفحة 220)، حضورا يكمن على صعيد الفن الاسلامي في استحضار الشعور الإيماني والنسق العقدي من خلال التأمل لحقيقة التوحيد وتجلياته في ابداع الفنان المسلم كعقيدة وكمعيار وكرؤية وكمنطلق وكغاية، وكفضاء خصب للتخيل دون الوقوع في الوهم والخرافة وبهرج الأساطير، وأبرز فن إسلامي يبرز هذه التجليات وفق الفاروقي وهو فن الأرابيسك بوحداته اللامتناهية المستمرة في بعث شغف التخيل في ذهن ونفس المتلقي، الحاملة له على التأمل المستقطب لمعاني توحيدية وجمالية تفرق بين المتعالي وبين الطبيعة والإنسان وعوالم الوجود، إذ" يولد هذا الفن عند الناظر حدسا برفعة اللامتناهي، أي بالذي يفوق المكان والزمان وهو يفعل هذا من دون الادعاء،الذي يستهجنه المسلم من أن النسق نفسه يمثل مايفوقه، فمن خلال تتمل هذه الأنساق اللامتناهية يتوجه ذهن المتلقي نحو الله، ويغدو الفن دعما للعقيدة الدينية وتذكيرا بها (الفاروقي، 2014، صفحة 246)، لأن التجلي في الفن الاسلامي من منظور الفاروقي منوط بالعقيدة "التوحيد" ومابتجلياته إلا انبعاث من روح توحيدها،

وأياته الصادحة في الأفاق والتي تعكسها فلسفته في صوره عن الكون ومظاهر الوجود، في حلة بديعة وعظيمة في رحاب شهادة "لا إله إلا الله"، فالكون يصدح بحقيقة واحدة تتجلى في جميع مظاهرها ودلالاتها أنه لا إله إلا الله ، وهي التوحيدية التي عبر عنها الفنان المسلم كحقيقة يؤمن بها ويتفنن في رحابها العقدية، واتخذها مصدرا للإلهام والإبداع ، تلك " التوحيدية التشكيلية المتمثلة في بنية واحدة للوحدات التي يتكون منها العمل الفني الإسلامي في تصميم واحد أوسع من هذه الوحدات، بوصفها جزءا مهما من التركيب الأوسع (إدهام محمد حنش، 2013، صفحة 148) تجليات تستعرض من خلال فلسفة فنية تؤصل للفن في نطاقه التوحيدي على أنه " القراءة في الطبيعة بحثا عن جوهر غير طبيعي وإعطاء ذلك الجوهر الشكل المرئي المناسب له (الفاروقي، 2014، صفحة 306)والحياة والجوهر الغير طبيعي لا يدرك بطريقة طبيعية، بل من خلال تجليات فيها روح إيماني وصفاء عقلي وبعد جمالي، ولا يتأتى ذلك إلا في ظل رؤية توحيدية خالصة في مفاهيمها ومسلماتها ، وهو ماعمل الفاوقي على إبدائه ، من خلال دراسته للفن الإسلامي على مختلف الأصعدة ومن ضمنها صعيد التجليات، إلا أن التجلي الذي رمى إليه الفاروقي فيما يخص الفنون الاسلامية وفلسفتها في ظل الرؤية التوحيدية، ليس التجلي الصوفي أ وفق ما ينشده بعض أهل التصوف ومفاهيم بعض المغالاة ، التي تعنى بفكرة انفصالية الروح عن المادة وتحكيم الروح كلية وتهميش العقل وتعطيل توظيفه، على أساس أن الاسلام ليس دين تأمل ورهبنة وانسحاب زاهد من الدينا، بل هو دين اشتغال بالعالم (إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء، 1998، صفحة 271)، لذلك فتجلياته ليست تجليات مغيبة الوعي هلامية الرؤية، بل خاضعة للمنظور الإيماني الواعي بوسطية عقيدته وتوازنها وتوافقها مع العقل والفطرة والجمال، فهي تجليات ليست منفصلة عن الواقع ابتداء وانتهاء لأن "الفن الذي يستوحي التوحيد يقوم على توجه في المفهوم تكون تجلياته المحتملة لا نهاية لها في الواقع (إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء، 1998، صفحة 565) فمداره وفلسفته مقاما وحالا واقع تجلياته تصدح بأن كل شيء من الله سبحانه وتعالى وإليه وتحقيق لإرادته وإقرار بأنه أحد لا شريك له .

- **سمة التفرد**

لقد تفرد الفن الاسلامي وفلسفته وفق فكر الفاروقي في ظل الرؤية التوحيدية تفردا اصطبغ بالتميز على صعيده الخاص، وعلى صعيد اختلافه مع باقي الفنون من باقي المنظومات الفلسفية، لمختلف الأديان ومن ضمنها المسيحية، تفردا أنتج فلسفة مراعية للفطرة، وطبيعتها الميالة للجمال

الخالي من الوهم والهرطقات، والاستخفاف بالعقل و الروح ، والمفتقد للتوازن، فالفطرة السليمة التي لم يعتريها أي تشويه ولم تلحق بها أية شائبة يمكنها وفق الفاروقي أن تدرك الحقيقة اليقينية "وجود الله " بلا تناقض ولا تصادم ، وتعبر عنها فنيا بلا إشراك للطبيعة أو أي معطى مادي في التقديس والتأليه والعبادة، فميل الفطرة وانجذابها إلى المعطى الجمالي الفني ، أمرا طبيعيا ولا يستهجنه الإسلام ولا تنفيه نصوص القرآن الكريم، إلا أن الفن الذي يشوش على هذه الفطرة ويملي عليها مفاهيما تتصادم معها وتتناقض مع العقل، وتجعل حدود مدراكاته للجمال الرؤى المشركة أو الإلحادية المنافية لحقيقة التوحيد–لا إله إلا الله– يعد فنا قاصرا على بلوغ المعاني الحقيقية للجمال وتعد فلسفته بلا تصور واضح لقضايا الوجود والكون الشهودية والميتافيزيقية، لذلك يرى الفاروقي أنه كلما ارتقت الفنون إلى حقيقة التوحيد كلما استقطبت الفطرة تجاهها أكثر والعكس صحيح كلما وجهت بوصلتها إلى غير لله وعدته محورا ولامتناهيا إلا وابتعدت عن الفطرة وافتقدت تفردها وشابهت غيرها وتشاركت معه، لذلك فتفرد الفن الإسلامي وفلسفته وفق الفاوقي يكمن في تفرده بقدرته على مخاطبة الفطرة الموحدة في أصلها من خلال رؤيته وأساليبه وغاياته، قبل أن يعتريها أي تشويش في علاقتها مع الأصل"التوحيد"، لا مخاطبتها بعد أن لحق بها التشوه الحاجب عنها إدراك روح الفن والجمال وتذوقه وتلقيه في نطاق توحيدي لا مكاني ولا زماني ولا وثني ولا مثيولوجي، تفردا مكن الفن الإسلامي من التميز على مستواه الابداعي الذاتي، و على مستوى باقي الفنون المنوطة بالأديان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، نحو الفنون الدينية المسيحية واليهودية وحتى الوثنية الرومانية، إذ عبر الفن الاسلامي عن التوحيد النقي، وعبرت المسيحية واليهودية عن التوحيد المشوه لا المطلق المنزه، إذ نجد الفن " تشبيه وتجسيم عند اليهود ...شرك وتعدد عند النصارى مع مايتبع ذلك من انحراف في سائر الحياة (علي ذو الفقار شاه، 2020)، فلا تفرد وفق الفاروقي لفنون تعبر عن فلسفة انحرفت دياناتها عن التوحيد ، إذ أن " الإنسان في خضم سيرورة الحياة ومايصيبه فيها ...ينسى ماخلق عليه من فطرة التوحيد فيصيبه في ذلك خلل ينتهي به إلى تصورات من تشبيه الإله الكامل بصفات الكائنات الكونية أو تجسيمه في أوصاف محسوسة (علي ذو الفقار شاه، 2020، صفحة 13)، وذلك التشوه يصيب الفطرة فيؤدي إلى تصورات متعددة للإله، ومفاهيم مغلوطة تجاه المخلوقات والوجود وبقائها على طبيعتها يبقي بوصلتها دائما تجاه التوحيد، لذلك فالفنون التي نتجت في بيئة شوهت فيها الفطرة لا تمتاز بالتفرد، لأنها تعبير عن دياناتها ومفهومها للإله وفق ما أملاه ذلك التشوه والعدول، ومنه هي ليست متفردة ولا مختلفة

عن بعضها ومشتركها واحد "اللاتوحيد "، عكس الفن الاسلامي الوحيد الذي يقدم تصورا توحيديا خالصا دون اعتقاد المتعدد وفلسفته بمختلف أشكالها الشركية و الحلولية و التجسمية والتشبيهية...الخ، ففلسفتة متفردة نتاج تعبيره عن الأصل الذي لم يشوه الفطرة التي ضلت عليه"التوحيد"، فلسفة في نطاقها كان الفن الإسلامي من خلال إبداعه يفصل الطبيعة عن التأليه و يجردها مماليس فيها ولا لها من تقديس، فلسفة ترد السببية في كل شيء لله وتربط الغايات به،وفق ما توافقه الفطرة ولا تتصادم معه ،كونها فطرة موحدة منذ البدء.

وزيادة إلى معطى الفطرة يرى الفاروقي أن التفرد أيضا منوط في ظل الرؤية التوحيدية باعتقاد مداره "كمال الله " فلا فن يمكن محاكاة كماله ولا مضاهاة جماله ، ولا إتمام نقصه بلون ولا شكل ولا بمزج تصويري بينه وبين الطبيعة أو المخلوقات نحو ماكان في الفنون القديمة ، هجين بين الإنسان والأجرام وظواهر الطبيعة والمخلوقات ، فالفن الاسلامي تفرد عن غيره باستناده إلى عقيدة الكمال ف" الله هو الكامل المطلق والأسمى، والقول بعدم إمكان تمثيله بأي شيء في الخليقة هي رؤيته "جميلا – لا يشبه أي شيء جميل آخر، وعدم إمكان التعبير عن الله هي صفة إلهية، تفيد الأبدية والكمال المطلق أو اللاتشكيلية واللاحدودية والأبدي واللامتناهي هو بكل معنى من المعاير مالا يمكن التعبير عنه (الفاروقي، 1981، صفحة 50) بمعنى أن القول بالقدرة على التعبير عن الله بشكل حسي مباشر من خلال الفنون هو نفي لكماله وجماله، وجعله ممكن وخاضع للتعديل والتدخل الفني بمحو أو تلوين او نقش أو إضافة...الخ، وهذا ليس تفردا لا فنيا ولا اعتقاديا فلا تفرد في تقديم المطلق اللمحدود المتعالي وفق الفاروقي على الصفة التي يقدم بها النسبي المحدود "المخلوق" فالتفرد أن يعبر فنيا عن ذلك الكمال بتجريد يقر باستحالة بلوغ الفن وفلسفته محاكاة المتعالي ذو الجمال والكمال بطريقة مادية مباشرة، لذلك وظف الفن الاسلامي التجريد وابتعد عن المادية المباشرة مما أكسبه تفردا في التقنية والفكرة والجمالية، في نطاق توحيدي إيماني، متفرد ومتميز داخليا وخارجيا، تفردا امتد إلى التذوق الجمالي من طرف المتلقي أيضا إذ أنه تذوق إيماني لا يخلو من استحضار عظمة التوحيد والشعور به في نفس المتلقي المسلم، وإن لم يكن مسلما فإن جمالية اللامتناهي تدفعه أمام براعة الفن الاسلامي إلى التسائل عما ورائه من رؤية وتصورات ، ليدرك أنه منبعث من مصدر مختلف ألهمه ووجهه وميزه، إذ أنه فن هادف لبلوغ غاية مقرة بعظمة ذلك المصدر ومقدسة له، وذلك سر تميزه وتفرده وهويته التي لا يشترك فيها مع أحد ولا يشبهه من خلالها أحد.

3 مرتكزات فلسفة الفن الاسلامي في ظل الرؤية التوحيدية من خلال فكر الفاروقي

3.1 مرتكزالجوهر

ومكمنه وفق الفاوقي اليقين القطعي المنبثق من روح العقيدة التي يعتقدها المسلم ويؤمن بها، فهي ليست فلسفة تنطلق من فرضيات غير مؤكدة لتعبر عنها فنيا، ولاهي فلسفة تبحث من خلال الفن عن إجابات عن أسئلة غامضة لمعرفة المجهول وتفسيره، بل هي فلسفة لا تستمد إجاباتها في قضايا الوجود والكون وخاصة على النطاق الميتافزيقي من الطبيعة ومظاهرها، ولا توظف فنها من محاكاة الطبيعة كجوهر للأشياء ومصدرا للإلهام الفني والتصور الفلسفي ، مثلما كان الحاصل في الفكر الغربي الذي عد الطبيعة أما مؤلهة، الواجب تجاهها "العبادة" وتبنى ذلك وكرس له الكثير من مفكري وفلاسفة الغرب والذين اعتبروها أيضا مصدرا للفنون وإبدعاتها، وأن صنعة الفنون التعبير عنها بقداسة نحو: روسو وديدرو ورينان وكاريل (إبراهيم زكريا، د س، صفحة 137) ، وعكس ذلك كان توجه الفن الاسلامي وفلسفته في ظل الرؤية التوحيدية، وهو ماوضحه الفاروقي في بيان أن الطبيعة تجردت على يد الفنان المسلم مما خاله عليها الفنان الغير مسلم، فالطبيعة في منظومة الفن الاسلامي وفلسفته ليست إلا كما صورتها العقيدة الإسلامية بجبالها وسمائها ومظاهرها مصداقا لقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (**سورة البَقرة ، 29**)وقوله تعالى ﴿...**عَلَيْهِم قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ (سورة الرعد، 16)، فهي لا تخرج من بوتقة خلقه تعالى وإبداعَه، وعليه فلا عبادة لها ولا تقديس، ومنه لا تعبير عن ذلك فنيا وإبداعيا وفلسفيا، على أساس اعتقاد مركزيتها للكون ومصدريتها لكل شيء، لأنها ليست ذات جوهر لامتناهي ولاخالد ولامقدس، بل هي متقلبة وغير ثابتة و يمكن تطويعها والتكيف معها، وهذه الرؤية هي روح الجوهر الذي خص به الفن الاسلامي عبر مختلف أمصاره، الجوهر الذي وحد فنون الاسلام عبر مختلف الجغرافيات في أسيا وإفريقيا، شرقا وغربا، رغم بعد الأقطار واختلاف ثقافات الشعوب المعتنقة للإسلام، إلا أنه نجح في صهرها جميعا في حضارة واحدة وثقافة واحدة وفلسفة واحدة، كان هو روحها ومظهرها وهويتها، و كانت فنونه ومعالمها شواهد تفوقها، وعظمتها عبر مختلف العصور والحقب، فهو جوهر حضاري مكن الفن الاسلامي ومنه فلسفته من عدم الغرق في جداليات التساؤل في قضايا البدء والمنتهى، والكلي والجزئي، والمطلق والنسبي، والمقدس والخالد، والشهودي والموراثي في ظل فلسفة تعتمد الأساطير ووثنيتها أو المادية الطبيعية

المطلقة وتنظيراتها ، إذ هو فن تفوقت فلسفتة من خلال جوهرها العقدي التوحيدي، إذ كانت في ظله مدركة لمنطلقها ومبلغ غاياتها، والمتمثلة في "تحقيق إرادة الله" وفق ما أورده الفاروقي وبينه من خلال طرحه الفكري (إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء، 1998، صفحة 139،140)، فلسفة فن يعبر ويبحث عما وراء الدليل النسبي أي المدلول المطلق، االحامل والباعث على التفكير والتذكير بالمتعالي وربط كل شيء به و بإرادته وحده دون سواه.

3.2 مرتكزالمعيار

بمعنى أنها ليست فلسفة مرخية العنان بلا ضابط ولا وازع ولا مرجعية، تتفلسف وفق ماتمليه الأهواء أوالخيال، والأيديولوجيات التي تتبدل وفق مصالحها وأجنداتها، فتارة تحتكم لتاريخية مسيسة، وتارة لتطورية ملحدة، و تارة أخرى لحداثة مفككة، بل هي فلسفة محتكمة إلى معيار والذي هو "نموذج أو مقياس مادي أو معنوي لما ينبغي أن يكو عليه الشيء (جميل صليبا، 1982، صفحة 188) مقرونة برؤية واضحة، وشاكلة فكرية وثقافية وحضارية متأصلة ومنظمة، فهي ليست نتيجة أفكار عشوائية ولا حواضن وضعية مأدلجة وموجهة، بل هي فلسفة تعكس فنيا معطى عقدي لا تناقض ولا أهواء في مسلماته، فلسفة جسدتها فنونها وفق ما بينه الفاروقي دون الخروج عن حقيقة التوحيد ويقينيته"لا إله إلا الله" تحت أي ظرف، وتحت أي مسمى، فنا،إبداعا ،حرية، جمالا...إلخ، فجميع هذه المسميات بالنسبة للفن الاسلامي وفلسفته تتحرك في فضاء التوحيد وتصوراته، ومفاهيمه وقطعياته، ولا تحتكم إلى معيار سواه، ولا تستند إلى مرجعية ولا تنتسب إلا هوية غيره، فالتوحيد للفن الاسلامي هو المبدأ القائم عليه وهو المعيار المحتكم إليه، لبيان وجهته وغايته،ولبناء أنساقه وهويته، فالتوحيد معياره من خلال مايدعو إليه لكون"التوحيد قيمةٌ معيارية تختص أساساً بالرؤية الإسلامية للإله الخالق المدبّر، وتتقوَّم بها معتقداتُ الإنسان، ونتائج هذه المعتقدات وآثارها في فكر الإنسان وحياته" (ملكاوَي، فتحي حسن، 2017) وهذه المعيارية تمنح للفن الاسلامي مسارا واضحا، منطلقه واضح ومضمونه واضح، وغائيته منوطة في كليتها وفي جزئياتها بالمعيار العقدي الايماني الذي ينطلق منه " التوحيد"، ليعبر عن الكون وعن الوجود وينظر إليهما من منظورها التوحيدي حيث " العالم في الحقيقة " كون " أي خليقة منتظمة، لا "فوضى" وفيه تتحقق إرادة الخالق دوما (الفاروقي، 1981، صفحة 13)، وهو المعيار الذي اعتمده الفاروقي في دراسته للفن الاسلامي كونه جوهره ومبدأه ومانح سماته، إذ ليس من الإنصاف العلمي ولا الفني الجمالي ولا الفلسفي الحديث عن الفن الاسلامي والحكم عليه وتقييمه

من خلال معاير مختلفة عنه وهو مافعله المستشرقين وفق ما أورده الفاروقي في دراستهم للفن الإسلامي، حيث " فشلو في تفهم روح هذا الفن وفي إدراك وتحليل إسلاميته، وقد قادهم هذا الفشل إلى أن ينظروا إلى الفن الإسلامي من خلال الروح الذي يصنع فنهم هم –أي الفن الغربي– مسلمين بهذا الفن الغربي كمعيار مطلق لكل الفنون –ومن ثم حاولوا أن يطبقوا عليه معايير غربية صرفة (الفاروقي، 1980، صفحة 160)، بينما هو لا يدرك إلا في ضوء معياريته الخاصة به والمستقلة عن غيره، معيارية التزمت بها فلسفته الاسلامية من خلال تعبيره بتجريده وتحويره لثنائية تمثل الحقيقة والواقع والذي هو عبارة عن " جنسان منفصلان ، الله وغير الله؛ الخالق والمخلوق، في المرتبة الأولى لا يوجد سوى واحد أحد، هو الله المطلق القادر، هو وحده الله، الدائم المتعال، لا شبيه له، باق إلى الأبد، مطلقا لا شركاء له ولا أعوان، وفي المرتبة الثانية يوجد المكان –الزمان،الخبرة ،الخليقة وهي تضم جميع المخلوقات وعالم الأشياء ...و كل ما آلو إليه منذ ماجاءوا إلى الوجود (إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء، 1998، صفحة 132) بمعنى المعيار هو إرجاع كل شيء يعبر عنه إلى مصدره الحق "الله" وإلزام المخلوات حجمها ووظيفتها، ومرتبتها النسبية، التي ليست بمرتبة الإله المطلق والمتعال، وهو ماكان نهج الفن الاسلامي ذاته وفلسفته، من خلال منجزاته الإبداعية التي احتكمت إلى التوحيد كمعيار من خلال توظيف مسلماته، ومن ضنمها الفصل بين الخالق والمخلوق، وهو الأصل كحقيقة و مسلمة بالإختلاف بينهما، ومنه استحالة التشابه أو الإتحاد أو الحلول، ولا تبادل الأدوار والأشكال، فالمعيار محدد وواضح " لا إله إلا الله" لا طبيعة ولا إنسان ولا أي مخلوق يؤله ويقدس، وعليه ولا أي فن يمكنه تصويره ولا تجسيده ولا إدراكه ولاتحديده، ولا مناص من التعبير إبداعيا عنه – المتعالي واللامتاهي– إلا عبر أساليب ليست مباشرة وذاك هو مكمن التفوق الفني وتميزه، وهو مانجح الفن الاسلامي في بلوغه والتعبير عنه من خلال إبداعه وفلسفته وأساليبه التحويرية التجريدية المتفردة.

3.3 مرتكزالامتداد

والقصد منه توحيديا في فلسفة الفن الاسلامي من خلال فكر الفاروقي هو"للامحدود" واللمحدودية مكمنها اللامتناهي، امتداد تمثل في التعبير عن الطبيعي المحدود باللاطبيعي الممدود، امتداد يثبت أن لا إله إلا الله و ينفي ماعداها، وينزع عن غيره التقديس كالطبيعة والانسان، كما كانا في فنون الحضارات والأديان الأخرى، محيطان بهالة مقدسة منحتهما محورية ومركزية كل شيء، فالفن الاغريقي وفق ماذكره الفاروقي عد الانسان"مقياسا لكل شيء فهو أسمى مخلوق

وهو الحامل والمجسد لكل القيم العليا، ومن هذا المنطلق تم تصوير الإله لنفسه في صورة إنسان وتمثلت عبادة الاله في التأمل في أعماق الطبيعة الانسانية وفي تنوعها اللانهائي" (الفاروقي، 2014، صفحة 305)وهو ديدن الفن الغربي الذي حمل بذور الفن الاغريقي إذ " اعتمد الفن المرئي الغربي، بشكل شبه كامل على الطبيعة البشرية، سواء بالتعبير عنها في شكل آدمي، أو بمنظر طبيعي ، أما الفن الاسلامي المرئي فلم يعبأ بالطبيعة البشرية، بل اهتم بالطبيعة الإلهية، ولم يكن هدفه هو الكشف عن أوجه جديدة للطبيعة البشرية ...فالله تعالى هو حبه الأول وشاغله الأول والأخير، والوقوف في الحضرة الإلهية بالنسبة لذلك الفنان ذروة سنام الأصالة والنبل والجمال (الفاروقي، 2014، صفحة 318)، وامتداده يوصل لهذه الحقيقة اللامحدودة عكس الطبيعة المحدودة والانسان المحدود، الذي يمكن تجسيده من خلال فن لا تتجاوز فلسفته الظاهر الشكلي، المؤطر بحيز زماني ومكاني، غير ممتد ولادافع للإمتداد المتجاوز للنهائي إلى اللانهائي، ففلسفة الفن الإسلامي لم تكن تعتري قضاياها إشكاليات غيرها من الفلسفات والفنون حول طبيعة الانسان ومكانته ودوره الوجودي، وما يمتلكه من قدرات خارقة أو محدودة، لأن جميع التساؤلات التي حاول الفكر الغربي إجاد إجابات لها والتعبير عنهاحتى عبر الفن، لم تشكل جدلاولا مجهولا للعقل المسلم ، لذلك لم يحاكيها عبر الفنون ولا الفلسفات، بل انشغل بالمطلق والتعبير عن يقينه أنه مصدر كل شيء ولا يشبهه شيء وهو اللامتناهي واللامحدود، وهو كمال الجمال ومحاولة التعبير عن هذه المسلمات من خلال فن لا يخرج عن نطاق الرؤية التوحيدية، ولا فلسفتها الممتدة في دلالاتها وسياقاتها، امتدادا قدم الفاروقي فن الزخرفة الاسلامية كنموذج ومثال لبيان مساره اللامحدود واللامنقطع كون" الزخرفة العربية المعروبة "بالأرابيسك "...تصميم غير تجسيدي ، يمتد في كل الاتجاهات إلى مالا نهاية،...ولا يعود الشيء المأخوذ من الطبيعة هو نفسه، بل يصير شيئا جديدا تحولت طبيعته وأصبح مجرد مجال للرؤية وبالتعبير الجمالي يغدو الشيء الطبيعي بالمعالج"الأرابيسكية"نافذة إلى اللامحدود (الفاروقي، 2014، صفحة 309)، والامتداد من خلال الزخرفة تمثل عند الفاروقي في" الوحدات المتعددة " والتي يراها" ... تلبي كل من البنيتين متطلبات النسق اللامتناهي في عدد من نقاط التركيز في أنساقها المتكررة وتعطي انطباعا باستمرار لا ينتهي (إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء، 1998، صفحة 170) ، فتحقق بذلك من خلال المعطى الفني وتعكس "صفة اللامحدودي إحدى الخصائص القرآنية التي تحدد التعبير الفني في الثقافة الإسلامية (إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء، 1998، صفحة 647)، نعم فالقرآن الكريم

ورسالته التوحيدية له خصيصة الامتداد والاستمرار الذي يتخطى حدود عالم الشهود، إلى تسامي إيماني يرتقي إلى معارج عالم السماء، وهو ماربطه الفاروقي بما اصطلح عليه ب " التعالي في الجمال " كمسار فاصل بين العالمين حيث أن" مفهوم التوحيد عند الفاروقي يبدوا واسعا وشاملا وممتدا من فكرة (التعالي في الجمال) الماورائية إلى فكرة (التكوين الجمالي) في العمل الفني المحسوس والمباشر، ويدمج الفاوقي هاتين الفكرتين في ما يسميه (التعالي في الجمال) إذ يعني التوحيد المفاصلة الوجودية بين الألوهية وعالم الطبيعة (إدهام محمد حنش، 2013، صفحة 137) ، فالفن الذي يعبر عن المتعالي ممتد جماليا وفلسفيا ، أما ماأنيط بتأليه الطبيعة والمخلوقات محدود بمحدوديتها ولا امتداد له "فالنسق الذي لا بداية له ولا نهاية، والذي يعطي انطباعا بالأبدية هو لذلك الطريقة الأفضل للتعبير عن مبدأ "التوحيد" وما ابتدع من بنى لتناسب هذا الهدف هو مايميز جميع الفنون عند الشعوب الإسلامية، إن هذه الأنساق اللمتناهية، بنتويعاتها الفذة، هي ما يشكل الإنجاز المرموق للمسلمين في تاريخ التعبير الفني وفي هذه الأنساق اللمتناهية يمكن تلمس المحتوى الدقيق للرسالة الإسلامية (إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء، 1998، صفحة 246) أي متداد فني فلسفي حدوده حدود رسالته ودعوتها التي لا حدود لها مشارقا ومغاربا.

خاتمة:

مما تقدم وفي نطاق فلسفة الفن من خلال فكر الفاروقي نخلص إلى عدة نتائج أهمها:

– فلسفة الفن الاسلامي في فكر الفاروقي هي فلسفة دينية، في منطالقاتها وغاياتها وأبعاها .

– التصور الاسلامي للمتعالي عل أساس اللامتناهي واللمحدود هو مدار قيام الفن الاسلامي وفلسفته.

– التجريد في الفن الاسلامي منح لفلسفته الفنية سمات تفردت بها عن غيرها، استنادا إلى مبدأ التوحيد وعلاقتها به.

– الفن الاسلامي في ظل التوحيد هو فن يتماشى وفطرة الجمال والذوق لدى الانسان، ولا يتصادم مع عقله ولا يحدث تشويشا على مدركاته لحقيقة الإله والوجود والمخلوقات .

– لقد أجاد الفاروق ونجح إلى حد بعيد في دراسة الفن الاسلامي، وبيان أغواره وأسراره ورد شبهات من حاول تشويه حقيقته، بربطه بالقرآن وبيان أنه فن قرآني توحيدي الهوية والماهية والتفرد.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. إبراهيم؛ زكريا ،مشكلات فلسفية–مشكلة الانسان،–،مكتبة مصر، القاهرة ،مصر، ،دس.
2. بل ؛ كلايف،الفن ، دار النهضة العربية ،بيروت،لبنان،2001م .
3. بودبوز؛ جب، تبسيط الفلسفة ، الدّار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ليبيا، ،دس.
4. حسن؛ محمد حسن، الأصول الجمالية للفن الحديث، دار الفكر العربي ، القاهرة،مصر، دس.
5. حنش؛ إدهام محمد، نظرية الفن الإسلامي، المكتبة الوطنية،الأردن،2013 م.
6. الخشت ؛ محمد عثمان، معجم الأديان العالمية،، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة ،القاهرة،،مصر 2016م.
7. سعيد؛ جلال الدين، معجم المصطلحات والشواهد، دار الجنوب للنشر ،تونس ،2004م
8. صليبا؛ جميل ، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،لبنان، 1982م.
9. الطباطبائي؛ محمد حسين ، بداية الحكمة ، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، لبنان،2009م.
10. الفاروقي ؛ إسماعيل راجي ولوس لمياء الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،فرجينيا،الولايات المتحدة الأمريكية،.1998م.
11. الفاروقي؛ إسماعيل راجي،التوحيد جوهر الحضارة الاسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،فرجينيا ،الولايات المتحدة الأمريكية،1981م.
12. الفاروقي؛إسماعيل راجي،التوحيد والفن،مجلة المسلم المعاصر،العدد 23، لبنان،1980.
13. الفاروقي؛إسماعيل راجي، التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، دار الكتب المصرية ،مصر،2014م.
14. الفراهيدي؛ الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمان،العين، وزارة الإعلام، دار الرشيد، العراق،1988 م.
15. ذو الفقار، علي شاه، الأوصاف التجسيدية للخالق في التراث اليهودي والمسيحي والإسلامي– تمثيل مالا يمك تمثيله ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا، لولايات المتحدة الأمريكية،2020م.
16. قطب؛محمد،منهج الفن الإسلامي، دار الشروق.مصر،1983م.
17. كوبل؛جورج،نشأة الفنون الإنسانية دراسة في تاريخ الأشياء،ترجمة عبد الملك ناشف، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر،بيروت،لبنان ،1965م.
18. ملكاوي ؛ فتحي حسن،تجليات مقصد التوحيد في الفن الإسلامي نظرية إسماعيل الفاروقي،مؤسسة الفرقان والتراث الاسلامي https://al-furqan.com/ar،2017م
19. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم،لسان العرب، ،دار المعارف،ا،مصر ،1986م.